

كيفية معالجة موضوع فلسفي- قسم الإقتصاد والإجتماع

(درس الإدراك الحسي)

*.النموذج الأول عن النظرية العقلية

الموضوع الأول: " إنّ الشيء المحسوس يُدرك بالعقل وليس بالحواس."

أ- اشرح هذا الحكم لـ " آلان " مبيناً الإشكالية التي يطرحها.

ب- ناقش هذا الحكم في ضوء نظريات أخرى تعرفها.

أ. (معالجة سؤال أ تتضمن كتابة : المقدمة + الإشكاليات + النظرية الأولى التي تم التطرق إليها في الموضوع المطروح)

مقدمة عامة : يمتاز الإنسان عن سائر الكائنات بأنه سيّد الأبعاد. وهو بذاكرته يمتلك القدرة على استعادة الماضي، وبخياله يتوجّه نحو المستقبل، وبإدراكه يمتلك القدرة على اكتشاف العالم الواقعي الذي يحيط بنا. يظنّ الناس أنّ إدراك أشياء العالم الخارجي بواسطة الحواس الخمس هي من أبسط الأمور وأكثرها وضوحاً. وبعد أنّ حاول الفلاسفة التدقيق والتفكير في الإدراك الحسي، تبين لهم أنّه من أكثر الأمور تعقيداً والتباساً. ولذلك نرى أن الأغلبية الساحقة من الفلاسفة عبر التاريخ، يتطرقون في أعمالهم إلى الإدراك الحسي محاولين تعريفه والتدقيق في مصداقيته والعوامل المؤثرة فيه. وقد اختلف الفلاسفة وعلماء النفس حول هذه المسائل.

مقدمة خاصة: ولقد تناولت مسألة الإدراك الحسي عدّة نظريات منها النظرية العقلية والنظرية الغشطالنية، إلا أن هذا الموضوع يركز على أهمية ودور النظرية العقلية التي شرحت طبيعة الإدراك الحسي.

الإشكالية العامة: ما طبيعة الإدراك الحسي؟

الإشكالية الخاصة: هل الإدراك الحسي هو عملية عقلية في الأساس؟ أم إنّهُ من عمل وتأثير أشياء العالم المحسوس علينا؟

فكرة تمهيدية: تعتبر المدرسة العقلية من أكبر المدارس الفلسفية في تاريخ الفلسفة، ومن أكثرها حضوراً ونشاطاً منذ نشوء الفلسفة حتى اليوم. ويعتقد الفلاسفة العقليون أنّ ما يميز الإنسان عن بقية الكائنات الحيّة هو عقله. وهم يردون إلى العقل كل ما يقوم به الإنسان من قدرات وأعمال.

شرح الحكم: شرح النظرية العقلية (صفحة 29)

نحن لا ندرك الأشياء بل نعقلها.. الإدراك الحسي عملية بناء عقلي..
يعتبر الفلاسفة العقليون أنّ الإدراك الحسي هو من عمل العقل بامتياز بالرغم من أنه يبدأ من الحواس الخمس التي لا دور لها في الإدراك، إنما يقتصر دورها على التقاط صور العالم الخارجي. أمّا الإدراك فهو عملية عقلية معقّدة، باختصار إنّ حكم عقلي بامتياز.
يبدأ الإدراك بالتقاط حواسنا أجزاء من أشياء العالم الخارجي المحسوس، والجزء في هذه العملية لا معنى ولا أهمية له، بل هو مجرد صورة كالتّي تلتقطها آلة التصوير الفوتوغرافي. بعد ذلك يبدأ دور العقل الذي يجمع هذه الأجزاء ويركّبها مع بعضها البعض ويصدر حكمه عليها. ونحن على سبيل المثال لا نرى من أي شيء سوى جزء محدد من بعض جوانبه... وعندما ندركه، نحكم عليه كشيء كامل وليس كجزء. فعندما أنظر من شرفة منزلي إلى الشارع وأرى قبعة تتحرك، أحكم بأن هنالك رجلاً يسير في الشارع، ومن الممكن أن أحدد هويته بالرغم من أنني لم أر منه سوى قبعته من الأعلى. وتتمّ عملية الإدراك هذه بأخذ ما التقطته بحواسي، ويعمل العقل على تركيب ذلك مع مدركات سابقة اعتماداً على الذاكرة والخيال والمقارنة والتوقع... وكلّها عمليات عقلية، يصدر معها الحكم بأن من أراه هو زيد أو عمر من الناس.

لaland: الإدراك الحسي هو فعل تركيب ذهني يعكس الاحاسيس الداخلية في العالم الخارجي. ويعمل العقل على تركيب ذلك مع مدركات سابقة اعتماداً على الذاكرة والخيال والمقارنة والتوقع.

ديكارت: يقدّم لنا ديكارت مثله الشهير عن قطعة الشمع : فالجسم المُدرَك (الشمع) ليس مدرّكاً من خلال معطيات الحواس المختلفة التي يظهر من خلالها: (الرائحة-اللون-الشكل..)، وذلك لأنّ مختلف الأحاسيس المرافقة للمادة تتغيّر : فالطعم والرائحة والرؤية تتبدل بالرغم من أن الشمع يبقى هو نفسه عند الذوبان أو قبله بالنسبة لإدراكنا. وباختصار فإننا ندرك حقيقة وماهية الشيء (الشمع) وليس صفاته المحسوسة (اللون والرائحة والشكل).

يقول آلان متأثراً بفلسفة ديكارت ومدافعاً عنه النظرية العقلانية: "عندما ننظر إلى مكعب، فإننا نرى فقط عدداً من وجوهه وأضلاعه إلّا أننا نحكم بأنه مكعب." فهذا الإدراك يصدر عن حكم يعتمد على مصادر ذهنية سابقة مما يعني أن الأشياء تدرك من خلال الفكر لا من خلال الإحساس.

كما يشدد آلان على الوظيفة العقلية للإدراك: " هذا الأفق البعيد لا أراه بعيدا عني، إنني أحكم بعقلي أنه بعيد من خلال لونه وحجم الأشياء التي أراها منه.

ومن مؤشرات تأثير الموقف العقلاني على عملية التعلم، اعتماد الطريقة الهجائية في بداية تعلم اللغة. علينا أولاً أن نعلم الطفل الأحرف وهي أجزاء لا معنى لها، بعد ذلك نبدأ عملية صياغة الكلمات من الحروف وصولاً إلى الجمل فإلى النص الذي يحمل المعنى المطلوب. فالعملية التعليمية الطبيعية تبدأ بالجزئي وصولاً إلى الكلي الذي يحمل المعنى. والكلي كما هو معروف هو من عمل العقل ولا دور للحواس به.

أما كيف ندرك الأبعاد الزمانية: الماضي والحاضر والمستقبل، والمكانية: الطول والعرض والعمق، فإن هذه العملية بكلّيتها هي من أعمال العقل ، لأن هذه الأبعاد ليس لها وجود محسوس في الواقع، إنما هي من إبداعات العقل القائمة على الذكاء والحدس والتحليل والتركيب والاستنتاج. ويؤكد بركلي في هذا الشأن أنّ الأعمى إذا استعاد بصره بعد عملية جراحية ستبدو له الأشياء وكأنها ملتصقة بعينيّه، وسوف لن يستطيع تقدير المسافات والأبعاد لأنه لا يملك فكرة ذهنية أو خبرة سابقة بالمسافات والأبعاد.

أما كانط فيؤكد أن العين عند رؤيتها صورة أو منظرًا ما ، لا يمكنها بسبب الإحساس ، أن تنقل إلا بعدين من الأبعاد هما الطول والعرض . ورغم ذلك فنحن ندرك بعداً ثالثاً وهو العمق ادراكا عقلياً، فالعمق كبعد ليس معطى حسيّاً بل هو حكم عقلي.

أما الأوهام والأخطاء البصرية كما يراها العقليون ، فهي عبارة عن أحكام مغلوطة تصدر عن العقل . فالمؤلف الذي يصحّح مسودة عمله بعد طباعتها، لا يرى الأخطاء المطبعية لأنّه يقرأ من خلال من يعرف وليس من خلال ما يرى.

ب. (معالجة سؤال ب تتضمن كتابة : صلة وصل+ النقد الداخلي)(النقد الموجود أسفل النظرية الأولى التي كتبتها+ النقد الخارجي) النظرية الثانية المخالفة والتي لم تكتبها لغاية الآن+ التوليفة)

صلة وصل: على الرغم من قدم النظرية العقلية وبالرغم من تبنيها من كبار الفلاسفة والذين صبغوا تاريخ الفلسفة باسمائهم، فقد وجهت لهذه النظرية انتقادات لا يستهان بها.

نقد الموضوع المطروح- النقد الداخلي- نقد النظرية العقلية: صفحة 30

1. المشكلة التي لم يتمكن العقليون من حلها هي تحديد طبيعة العلاقة بين الإحساس والإدراك، فالأول من طبيعة مادية جزئية بينما الثاني من طبيعة نفسية عقلية.

2. هل يمكن حقاً الفصل بين الإحساس والإدراك مع أنهما في الواقع عملية واحدة لا يمكن تجزئتها؟ لا يمكن القول أنني الآن أحسّ فقط وبعد ذلك أدرك.

عرض نظرية أخرى مخالفة- النقد الخارجي- النظرية الغشطالتية : (صفحة 30)
كلمة غشطالت (gestalt) تعني " الشكل الكلي أو الصيغة " ، لذا يطلق على هذه المدرسة اسم علم نفس الشكل. أهم علماء هذه المدرسة: ماكس فرتهايمر وكوهلر وكوفكا وغيوم. وتعود شهرة هؤلاء إلى اهتمامهم بدراسة قوانين الإدراك التي تنطلق في الأساس من أن **الكُلَّ أكبر وأوضح من مجموع أجزائه**. فأنت حين تقرأ كلمتي (باب) و (أب) وهما مؤلفتان من الأحرف نفسها فإنك لا تدري كهما كحروف منفصلة وإنما كوحدات كليّة.

والمعروف بالصيغة أو الشكل الكليّ أنّها وحدة منظّمة متماسكة من الأجزاء المتفاعلة. ومن أبرز خصائصها أنّها ليست عبارة عن مجموعة أجزاء مرصوصة رصّاً أو مجمّعة تجميعاً آلياً، بل إنّ هذه الأجزاء متفاعلة يؤثر بعضها في بعض. فالصيغة ليست مجرد مجموع أجزائها، بل هي صفات غير صفات الأجزاء. والمثلث الهندسي صيغة تتميز بخصائص لا نجدها في كل خط من خطوطه الثلاث . فالصيغة هي التي تعطي للأجزاء معناها وصفاتها.

نحن لا ندرك أشياء العالم الخارجي المحيط بنا بدرجة واحدة من الوضوح في نفس الوقت، فهناك موضوعات تبرز وتتوضّح في مجال ادراكنا بينما تخبو أخرى وتكون أقلّ وضوحاً. فإذا نظرنا إلى لوحة فنية فإننا نرى فيها النقوش ولا نرى المساحات والفراغات التي تتخللها.

من بين أشياء العالم الخارجي هناك أشياء تفرض وجودها علينا دون غيرها من الأشياء المصاحبة . تسمى الأشياء التي تبرز في مجال ادراكنا بوضوح "صيغاً" وتتكون الصيغة من شكل وخلفية. فالشكل يكون أكثر وضوحاً من الخلفية، والوجه المرسوم على القماش هو شكل واضح على خلفية أقل منه وضوحاً.

أما القوانين الأخرى التي توصل إليها الغشطالت فهي أربعة:
قانون التجاور: نحن ندرك الأشكال المتقاربة من بعضها البعض كوحدة أكثر وضوحاً من الأشكال نفسها إذا كانت متباعدة. ● ● ● ●

قانون التشابه: 112255 نحن ندرك الأشكال المتشابهة مع بعضها كوحدة متكاملة بالنسبة للأشياء الأخرى غير المتشابهة التي تحيط بنا.

قانون الشكل الأفضل: نحن ندرك الشيء الذي يكون شكله أفضل وأكثر بروزاً ووضوحاً من غيره . فالشكل الكروي مثلاً يتميز عن سواه من الأشكال الهندسيّة الأخرى، كما أن اللون الأحمر يمتاز بقدرته على جذب الانتباه أكثر من سائر الألوان.

قانون الاغلاق: ندرك الأشياء غير المكتملة على أنها وحدات كاملة.

إنّ مراحل الإدراك عند الغشطات تبدأ بإدراك الصيغ كوحدة كلية ودفعة واحدة، حيث تترك فينا انطباعاً أولياً هو الأهم في هذه العملية. بعد ذلك نذهب إلى التدقيق في تفاصيل ما أدركناه. **والإدراك الحسي بالنسبة للغشطات هو عملية تفكيكية تبدأ من الكل وصولاً إلى الجزء، على عكس ما ذهب إليه العقلانيون الذين يعتبرون الإدراك الحسي عملية تركيبية تبدأ من الجزء وصولاً إلى الكل.**

دعا الغشطات إلى استبدال أسلوب التهجئة في التعلّم الذي أعتمده العقلانيون، بطريقة التعلّم عن طريق الجمل والعبارات ذات المعنى. وعلى المدارس أن تبدأ بتعليم الأطفال عبارات لها معنى محدّد لأنّ ذلك يرسّخ في عقولهم.

أمّا الأوهام والأخطاء البصرية فسببها عدم الوضوح في الأشكال المُدرّكة، بالإضافة الى عدم الوضوح بين الخلفية والشكل، ولا دور للأحكام العقلية في ذلك.

التوليفة: (32)

تبقى مسألة الادراك الحسي من أكثر الاشكاليات التي تفرض نفسها على الفلاسفة. فبالرغم من الاختلاف بين النظريتين العقلية والغشطاتية فلا يمكن للمتعمّق في إشكالية الادراك الحسي أن يتجاهل الصواب في كل من النظريتين المذكورتين ، دون أن ننسى النواقص التي واجهتها كل منهما .

ونحن نعتقد أن الادراك الحسي ليس عملية آلية يقوم بها العقل أو الحواس والمحسوسات ، انما هي حالة يعيشها الإنسان ويتفاعل معها لأنها جزء من شخصيته بكل ما في الشخصية من مكونات ومن خصوصية. فالشمس بالنسبة لعالم الفلك تختلف عن الشّمس التي ندركها بحواسنا فقط فالادراك الحسي ليس غريباً عما يعيشه الانسان من حالات نفسية أو عاطفية أو عقلية أو جسدية باعتبار أنه جزء من كل ذلك . فالإدراك الحسيّ هو إدراك ذاتي، وطالما نحن في تطوّر مستمرّ فإدراكنا الحسيّ متطوّر أبداً.

النموذج الثاني عن النظرية الغشطائية:

شكلُ الموضوع وبنائه العام هو الذي يُحدّد درجة الإدراك الحسيّ.

أ. إشرح هذا الحكم لـ "كوهلر" مبيناً الإشكاليّة التي يطرحها.

ب. ناقش هذا الحكم في ضوء نظرية أخرى تعرفها حول طبيعة الإدراك الحسيّ.

أ. (معالجة سؤال أ تتضمن كتابة : المقدمة + الإشكاليات + النظرية الأولى التي تم التطرق إليها في الموضوع المطروح)

المقدمة: يمتاز الإنسان عن سائر الكائنات بأنّه سيّد الأبعاد. وهو بذاكرته يمتلك القدرة على استعادة الماضي، وبخياله يتوجّه نحو المستقبل، وبإدراكه يمتلك القدرة على اكتشاف العالم الواقعي الذي يحيط بنا. يظنّ الناس أنّ إدراك أشياء العالم الخارجي بواسطة الحواس الخمس هي من أبسط الأمور وأكثرها وضوحاً. وبعد أنّ حاول الفلاسفة التدقيق والتفكير في الإدراك الحسي، تبين لهم أنّه من أكثر الأمور تعقيداً والتباساً. ولذلك نرى أن الأغلبية الساحقة من الفلاسفة عبر التاريخ، يتطرقون في أعمالهم إلى الإدراك الحسي محاولين تعريفه والتدقيق في مصداقيته والعوامل المؤثرة فيه. وقد اختلف الفلاسفة وعلماء النفس حول هذه المسائل.

وقد تناولت مسألة الإدراك الحسيّ عدّة نظريات منها النظرية التعقلية والنظرية الشكلية، إلا أن هذا الموضوع يتبنى النظرية الغشطائية التي تعتبر أن الشكل هو الأساس في عملية الإدراك الحسيّ.

الإشكالية العامة: ما طبيعة الإدراك الحسي؟

الإشكالية الخاصة: هل الإدراك الحسي هو من عمل وتأثير أشياء العالم المحسوس علينا؟ أم أنّه عملية عقلية في الأساس؟

فكرة تمهيدية : ظهرت المدرسة الغشطائية في علم النفس في برلين في أواخر القرن التاسع عشر، وبرز نشاطها في دراسة مسائل علم النفس وخاصة مشكلة الإدراك الحسي في أوائل القرن العشرين.

شرح القول:

كلمة غشطالت (gestalt) تعني " الشكل الكلي أو الصيغة " ، لذا يطلق على هذه المدرسة اسم علم نفس الشكل. أهم علماء هذه المدرسة: ماكس فرتهايمر وكوهلر وكوفكا وغيوم. وتعود شهرة هؤلاء إلى اهتمامهم بدراسة قوانين الإدراك التي تنطلق في الأساس من أن الكل أكبر وأوضح من مجموع أجزائه. فأنت حين تقرأ كلمتي (باب) و (أب) وهما مؤلفتان من الأحرف نفسها فإنك لا تدركهما كحروف منفصلة وإنما كوحدات كلية.

والمعروف بالصيغة أو الشكل الكلي أنها وحدة منظمة متماسكة من الأجزاء المتفاعلة. ومن أبرز خصائصها أنها ليست عبارة عن مجموعة أجزاء مرصوصة رسماً أو مجمعة تجميعاً آلياً، بل إن هذه الأجزاء متفاعلة يؤثر بعضها في بعض. فالصيغة ليست مجرد مجموع أجزائها، بل هي صفات غير صفات الأجزاء. والمثلث الهندسي صيغة تتميز بخصائص لا نجدها في كل خط من خطوطه الثلاث . فالصيغة هي التي تعطي للأجزاء معناها وصفاتها.

نحن لا ندرك أشياء العالم الخارجي المحيط بنا بدرجة واحدة من الوضوح في نفس الوقت، فهناك موضوعات تبرز وتتوضح في مجال ادراكنا بينما تخبو أخرى وتكون أقل وضوحاً. فإذا نظرنا إلى لوحة فنية فإننا نرى فيها النقوش ولا نرى المساحات والفراغات التي تتخللها.

من بين أشياء العالم الخارجي هناك أشياء تفرض وجودها علينا دون غيرها من الأشياء المصاحبة . تسمى الأشياء التي تبرز في مجال ادراكنا بوضوح "صيغاً" وتتكون الصيغة من شكل وخلفية. فالشكل يكون أكثر وضوحاً من الخلفية، والوجه المرسوم على القماش هو شكل واضح على خلفية أقل منه وضوحاً.

أما القوانين الأخرى التي توصل إليها الغشطالت فهي أربعة:
قانون التجاور: نحن ندرك الأشكال المتقاربة من بعضها البعض كوحدة أكثر وضوحاً من الأشكال نفسها إذا كانت متباعدة. ● ● ● ●

قانون التشابه: 112255 نحن ندرك الأشكال المتشابهة مع بعضها كوحدة متكاملة بالنسبة للأشياء الأخرى غير المتشابهة التي تحيط بنا.

قانون الشكل الأفضل: نحن ندرك الشيء الذي يكون شكله أفضل وأكثر بروزاً ووضوحاً من غيره . فالشكل الكروي مثلاً يتميز عن سواه من الأشكال الهندسية الأخرى، كما أن اللون الأحمر يمتاز بقدرته على جذب الانتباه أكثر من سائر الألوان.

قانون الإغلاق: ندرك الأشياء غير المكتملة على أنها وحدات كاملة.

إنّ مراحل الإدراك عند الغشطات تبدأ بإدراك الصيغ كوحدة كلية ودفعة واحدة، حيث تترك فينا انطباعاً أوليّاً هو الأهم في هذه العملية. بعد ذلك نذهب إلى التدقيق في تفاصيل ما أدركناه. والإدراك الحسي بالنسبة للغشطات هو عملية تفكيكية تبدأ من الكل وصولاً إلى الجزء، على عكس ما ذهب إليه العقليون الذين يعتبرون الإدراك الحسي عملية تركيبية تبدأ من الجزء وصولاً إلى الكل.

دعا الغشطات إلى استبدال أسلوب التهجئة في التعلّم الذي أعتمدته العقليون، بطريقة التعلّم عن طريق الجمل والعبارات ذات المعنى. وعلى المدارس أن تبدأ بتعليم الأطفال عبارات لها معنى محدّد لأنّ ذلك يرسّخ في عقولهم.

أمّا الأوهام والأخطاء البصرية فسببها عدم الوضوح في الأشكال المُدرّكة، بالإضافة الى عدم الوضوح بين الخلفية والشكل، ولا دور للأحكام العقلية في ذلك.

ب. (معالجة سؤال ب تتضمن كتابة : صلة وصل+ النقد الداخلي)(النقد الموجود أسفل النظرية الأولى التي كتبتها+ النقد الخارجي) النظرية الثانية المخالفة والتي لم تكتبها لغاية الآن+ التوليفة)

صلة وصل: على الرغم من حداثة هذه النظرية(الغشطالية) واستفادتها من التقدم العلمي والتقني، فقد ظهرت اعتراضات كثيرة عليها من العقلبيين الذين عاصروها وكذلك من فلاسفة كبار آخرين كالظواهريين.

النقد الداخلي- نقد النظرية الغشطالية :

1- إهمالهم العوامل الذاتية في عملية الإدراك الحسيّ. فإذا أخذنا على سبيل المثال إحدى الأمهات وهي تمرّ مع طفلها الصغير أمام واجهة محلّ يُعرض فيها فستان وبقربه كرة؛ فإنّ ما كانت قوانين الإدراك التي وضعها الغشطات هي التي تتحكم في عملية الإدراك لما أدرك يحدث أنّ الأم لن تدرك سوى الفستان على عكس الطفل الذي لن يرى ويدرك إلا الكرة. ولو الإثنان إلا الشكل الكروي لأنّه الأفضل.

2- إهمال الغشطات الجانب الإنساني في عملية الإدراك الحسيّ؛ فلو أخذنا أحدهم على سبيل المثال وهو يمرّ في شارع مرصوف بالبنائيات التي تسمح برؤية السماء بشكل هندسيّ مميز، فإنّ

الإنسان لا يدرك هذا الشكل بل يتوجّه إلى إنسان آخر يقف على شرفة إحدى البنايات. وهذا يعني أنّ الإدراك لا يتوجه إلى الشكل الأفضل أو المميّز بل إلى الكائن الذي يشاركنا في الإنسانية.

النقد الخارجي- نظرية أخرى مخالفة: النظرية التعقلية

نحن لا ندرك الأشياء بل نعقلها.. الإدراك الحسي عملية بناء عقلي.. يعتبر الفلاسفة العقليون أنّ الإدراك الحسي هو من عمل العقل بامتياز بالرغم من أنه يبدأ من الحواس الخمس التي لا دور لها في الإدراك، إنما يقتصر دورها على التقاط صور العالم الخارجي. أمّا الإدراك فهو عملية عقلية معقّدة، باختصار إنّ حكم عقلي بامتياز. يبدأ الإدراك بالتقاط حواسنا أجزاء من أشياء العالم الخارجي المحسوس، والجزء في هذه العملية لا معنى ولا أهمية له، بل هو مجرد صورة كالتّي تلتقطها آلة التصوير الفوتوغرافي. بعد ذلك يبدأ دور العقل الذي يجمع هذه الأجزاء ويركبها مع بعضها البعض ويصدر حكمه عليها. ونحن على سبيل المثال لا نرى من أي شيء سوى جزء محدد من بعض جوانبه... وعندما ندركه، نحكم عليه كشيء كامل وليس كجزء. فعندما أنظر من شرفة منزلي إلى الشارع وأرى قبعة تتحرك، أحكم بأن هنالك رجلاً يسير في الشارع، ومن الممكن أن أحدد هويته بالرغم من أنني لم أر منه سوى قبعته من الأعلى. وتتمّ عملية الإدراك هذه بأخذ ما التقطته بحواسي، ويعمل العقل على تركيب ذلك مع مدركات سابقة اعتماداً على الذاكرة والخيال والمقارنة والتوقع... وكلّها عمليات عقلية، يصدر معها الحكم بأن من أراه هو زيد أو عمر من الناس.

لaland: الإدراك الحسي هو فعل تركيب ذهني يعكس الاحاسيس الداخلية في العالم الخارجي. ويعمل العقل على تركيب ذلك مع مدركات سابقة اعتماداً على الذاكرة والخيال والمقارنة والتوقع.

ديكارت: يقدّم لنا ديكارت مثله الشهير عن قطعة الشمع : فالجسم المُدرَك (الشمع) ليس مدرّكاً من خلال معطيات الحواس المختلفة التي يظهر من خلالها: (الرائحة-اللون-الشكل..)، وذلك لأنّ مختلف الأحاسيس المرافقة للمادة تتغيّر : فالطعم والرائحة والرؤية تتبدل بالرغم من أن الشمع يبقى هو نفسه عند الذوبان أو قبله بالنسبة لإدراكنا. وباختصار فإننا ندرك حقيقة وماهية الشيء (الشمع) وليس صفاته المحسوسة (اللون والرائحة والشكل).

يقول آلان متأثراً بفلسفة ديكارت ومدافعاً عن النظرية العقلانية: "عندما ننظر إلى مكعب، فإننا نرى فقط عدداً من وجوهه وأضلاعه إلّا أننا نحكم بأنه مكعب." فهذا الإدراك يصدر عن حكم يعتمد على مصادر ذهنية سابقة مما يعني أن الأشياء تدرك من خلال الفكر لا من خلال الإحساس.

كما يشدد آلان على الوظيفة العقلية للإدراك: " هذا الأفق البعيد لا أراه بعيدا عني، إنني أحكم بعقلي أنه بعيد من خلال لونه وحجم الأشياء التي أراها منه.

ومن مؤشرات تأثير الموقف العقلاني على عملية التعلم، اعتماد الطريقة الهجائية في بداية تعلم اللغة. علينا أولاً أن نعلم الطفل الأحرف وهي أجزاء لا معنى لها، بعد ذلك نبدأ عملية صياغة الكلمات من الحروف وصولاً إلى الجمل فالنص الذي يحمل المعنى المطلوب. فالعملية التعليمية الطبيعية تبدأ بالجزئي وصولاً إلى الكلي الذي يحمل المعنى. والكلي كما هو معروف هو من عمل العقل ولا دور للحواس به.

أما كيف ندرك الأبعاد الزمانية: الماضي والحاضر والمستقبل، والمكانية: الطول والعرض والعمق، فإن هذه العملية بكلّيتها هي من أعمال العقل ، لأن هذه الأبعاد ليس لها وجود محسوس في الواقع، إنما هي من إبداعات العقل القائمة على الذكاء والحدس والتحليل والتركيب والاستنتاج. ويؤكد بركلي في هذا الشأن أنّ الأعمى إذا استعاد بصره بعد عملية جراحية ستبدو له الأشياء وكأنها ملتصقة بعينيه، وسوف لن يستطيع تقدير المسافات والأبعاد لأنه لا يملك فكرة ذهنية أو خبرة سابقة بالمسافات والأبعاد.

أما كانط فيؤكد أن العين عند رؤيتها صورة أو منظرًا ما ، لا يمكنها بسبب الإحساس ، أن تنقل إلا بعدين من الأبعاد هما الطول والعرض . ورغم ذلك فنحن ندرك بعداً ثالثاً وهو العمق ادراكا عقليا، فالعمق كبعد ليس معطى حسيّاً بل هو حكم عقلي.

أما الأوهام والأخطاء البصرية كما يراها العقليون ، فهي عبارة عن أحكام مغلوطة تصدر عن العقل . فالمؤلف الذي يصحّح مسودة عمله بعد طباعتها، لا يرى الأخطاء المطبعية لأنّه يقرأ من خلال من يعرف وليس من خلال ما يرى.

التوليفة:

تبقى مسألة الإدراك الحسي من أكثر الإشكاليات التي تفرض نفسها على الفلاسفة. فبالرغم من الاختلاف بين النظريتين العقلية والغشطالية فلا يمكن للمتعمّق في إشكالية الإدراك الحسي أن يتجاهل الصواب في كل من النظريتين المذكورتين ، دون أن ننسى النواقص التي واجهتها كل منهما .

ونحن نعتقد أن الإدراك الحسي ليس عملية آلية يقوم بها العقل أو الحواس والمحسوسات ، إنما هي حالة يعيشها الإنسان ويتفاعل معها لأنها جزء من شخصيته بكل ما في الشخصية من مكونات

ومن خصوصية. فالشمس بالنسبة لعالم الفلك تختلف عن الشمس التي ندركها بحواسنا فقط فالادراك الحسي ليس غريباً عما يعيشه الانسان من حالات نفسية أو عاطفية أو عقلية أو جسدية باعتبار أنه جزء من كل ذلك . فالإدراك الحسيّ هو إدراك ذاتي، وطالما نحن في تطوّر مستمرّ فإدراكنا الحسيّ متطوّر أبداً.